سرقة الأرقام السرية

محمود سالم

سرقة الأرقام السرية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سرقة الأرقام السرية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٦٣٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لا تضع البيض في سلة واحدة!	١١
لقاء في «الكارلتون»!	١٧
الشياطين لا يعرفون اليأس!	٢٣
دعوة إلى مشارف الجبل!	٢٩
وفجأةً بدأ انهيار الجبل!	٣٥
ضغطة واحدة وتظهر السكين!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لا تضع البيض في سلة واحدة!

كان الجو عاصفًا هذا الصباح؛ ولذلك بعد أن انتهى الشياطين من تمريناتهم اليوميَّة جلسُوا في الشُّرفة الزجاجية العريضة، يرقبون اهتزاز أشجار الفاكهة في حديقة المقر السِّري. لم يكن هناك ما يفعلونه الآن. حتى مناقشاتهم الدائمة في السياسة الدولية توقفت. كانوا ينتظرون مغامرةً ما؛ فهم يعتبرون المغامرة نوعًا من الإجازة. وعندما يكونون بلا عمل فإنهم يعتبرونها نوعًا من العذاب، حتى إن «مصباح» قال: يبدو أن رقم «صفر» يعاقبنا بهذه الراحة، فنحن لم نتعود عليها.

ابتسمت «إلهام» وقالت: هذا صحيح، أقترح أن نطلب اجتماعًا معه لنعرف السبب.

فجأةً رنَّ جرس متقطِّع جعلهم ينظرون إلى بعضهم في فرح.

قالت «ريما»: ها هو يستدعينا، يبدو أنه سمع شكوانا.

ابتسموا جميعًا وهم يأخذون طريقهم إلى قاعة الاجتماعات في نشاط، فها هم أخيرًا سوف يقومون بإجازة. نفس الإجازة التي كانوا يفكِّرون فيها. لقد كان الجرس المتقطِّع يعني اجتماعًا سريعًا وخطيرًا، وهذا ما جعلهم يُسرعون إلى القاعة من جهة. ومن جهة أخرى كان شعورهم بالسعادة، فمثل هذا الاجتماع يعني أنه ليس اجتماعًا مطوَّلًا، إنه اجتماع سريع للحركة السريعة.

عندما دخلوا القاعة كانت كعادتها غارقة في ضوئها الهادئ. غير أن الذي لفت نظرهم لأول وهلة هو خريطة الوطن العربي التي كانت مُضاءة فوق اللوحة الإلكترونية. فبعد أن أخذوا أماكنهم بدءوا يفكِّرون فيما تعنيه هذه الخريطة، لقد فكَّروا جميعًا أن المغامرة سوف تكون في المنطقة العربية، لكنهم لم يستطيعوا تحديد المكان بالضبط.

كان «أحمد» قد استغرق في التفكير، ثم دارت عيناه على وجوه الشياطين ليعرف فيمَ يفكِّرون، وفي لَمْحة سريعة استطاع أن يعرف، لكنه كان يفكِّر بطريقة أخرى. ظلَّت أعين

الشياطين معلَّقة بالخريطة المُضاءة التي لم تكن تحمل أيَّ تحديد، في نفس الوقت كانت آذانهم معلَّقة بأي صوت يصدر؛ في انتظار وصول صوت أقدام رقم «صفر».

لحظة ثم تغيرت الخريطة، وظهرت «إسبانيا» ومعها ظهرَ التساؤل على وجوه الشياطين. إلا أن «أحمد» ابتسم؛ فقد تأكَّد أنه كان يفكِّر بطريقة صحيحة.

بعد لحظات تغيَّرت الخريطة مرةً أخرى، وظهرت سويسرا، تحدُّها فرنسا وإيطاليا وألمانيا، إلا أن التفاصيل تركَّزت في سويسرا وحدها، لقد ظهرت العاصمة «برن»، ومدن «جنيف»، و«زيورخ»، و«باسل»، ثم جبال «جورا» و«الألب»، وعددٌ من البحيرات الصغيرة، ونهر «الراين» و«الرون». وعلى الحدود السويسرية الإيطالية ظهرت بحيرة «لوجانو». كان الشياطين يتابعون هذه التفاصيل بسرعة ويختزنونها في ذاكرتهم؛ فهي في النهاية سوف تكون مجال تحرُّكهم.

مضت دقائق أخرى حتى بدأ القلق يسيطر عليهم. لكنَّ ضوءًا خافتًا لمع في أعلى الخريطة جعل الشياطين يعرفون أن رقم «صفر» يتلقَّى رسالة من أحد عملائه، تنفَّس الشياطين في ارتياح؛ إن هذه الرسالة تعني مزيدًا من المعلومات، وهذا يعني في نفس الوقت سرعة الحركة وسرعة الصدام، فما دامت المعلومات كافية فإن هذا يعني الوصول إلى الهدف مباشرة. تأخَّر وصول رقم «صفر» وبدأ القلق يعاود الشياطين، إلا «أحمد» الذي كان ينظر لهم مبتسمًا حتى إنهم نظروا إليه، وكادت «ريما» تسأله إلا أن صوت أقدام رقم «صفر» جعلها تتوقَّف في آخِر لحظة، ظلَّت أقدام رقم «صفر» تقترب أكثر فأكثر حتى توقفَت تمامًا، ومرَّت لحظة قبل أن يرحِّب بهم بصوته الهادئ الذي لا ينفعل أبدًا.

مرَّت لحظة أخرى قبل أن يقول: ربما لا تكون مغامراتنا على نفس الدرجة من الأهمية مع مغامرات كثيرة سبقَت، إلا أن أهميتها هذه المرة هي أن بطلها مواطن عربي.

صمت بعد هذه الكلمات؛ فقد تركها لتُعطي تأثيرها فيهم، وهذا ما حدث فعلًا، فقد ظهرت الدهشة على وجوههم، وبدا عليهم التحفُّز، وكان ذلك كافيًا حتى يعود مرة أخرى للحديث.

قال: لقد حدثت أغرب جريمة بَنْكية في تاريخ البنوك، وكان ضحيتها ثري عربي، لا نريد أن نذكر اسمه؛ فهذا ليس مهمًّا، إن المهم أن هذه السرقة يمكن أن تتكرَّر، وأنتم تعرفون أن الأثرياء العرب يمثِّلون مطمعًا لرجال العصابات، وهم طبعًا يعرفون ذلك ويفهمونه جيدًا.

صمتَ قليلًا ثم أكملَ بعد لحظة: لقد طلب الثري العربي من بنك «إسبانيا» أن يقوم بتحويل مبلغ عشرين مليونًا من الجنيهات إلى بنك «سويسرا» المركزي، وأجاب البنك أنه قد تم التحويل فعلًا، وعندما سأل في البنك المركزي اكتشف أنه لم يحدث التحويل. أعاد الاتصال بالبنك الإسباني، فأخبره أنه قد تحوَّل المبلغ منذ خمسة أيام تحت رقم «م–د–٨» وهو الرقم الشفري في البنك الخاص بالثري العربي.

كان الشياطين يتابعون كلمات رقم «صفر»، إن عشرين مليونًا ليست مبلغًا بسيطًا في رصيد فرد، هكذا كانوا يفكرون. لكن رقم «صفر» قطعَ عليهم تفكيرهم قائلًا: إن العشرين مليونًا من الجنيهات ليست مبلغًا ضخمًا في رصيد بنك يتعامل في مئات الملايين يوميًّا، لكن خطورة المسألة تكمن في: كيف تم تحويل هذا المبلغ؟ فإذا كانت هناك سرقة قد تمَّت، فهذا يعني أن البنك وربما بنوكًا أخرى غيره معرَّضة لنفس السرقة.

صمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: إن الرقم الشفري «م–د–٨» لا يعرفه سوى صاحبه والمسئولين في البنك. أما الموظَّفون فإنهم لا يعرفونه. وهذا الرقم الشفري يمكن أن يقوم بصرف أو تحويل أي مبلغ يريده صاحبه — في حدود رصيده طبعًا — والتحويل يمكن أن يتم تليفونيًّا. إن ما يحدث هو أن رقمًا معيَّنًا يظهر كلَّ يوم في البنك لا يعرفه إلا المتعاملون معه. وعندما يريد عميل أن يصرف مبلغًا من المال فإنه يذكر رقم الصرف اليومي، ثم يذكر رقمه الشفري، فإذا كان الرقمان صحيحَين فإن المبلغ يتحوَّل تلقائيًّا.

وأنتم تعرفون أن البنوك اليوم أدخلَت نظام العقول الإلكترونية، فهي التي تقوم بالعمل لسرعة الإنجاز وعدم الخطأ؛ فالعقل الإلكتروني لا يخطئ أبدًا، ما دمتَ تغذِّيه بمعلومات صحيحة، وهذا ما حدث.

لقد اتصل الثري العربي بموظف البنك، وذكر رقم الصرف اليومي وكان ٩١٩٩٩١، فطلب منه الموظف رقمه الشفري فذكره له. في نفس الوقت هناك حجرة للمراقبة، أي تراقب ما يحدث، اسمها «الكونترول»، وهي التي تُعطي الأمر في النهاية. لقد عرفت حجرة الكونترول أن الرقم صحيحٌ. وهكذا يلقِّن موظفُ البنك العقلَ الإلكتروني بالمعلومات فيتم التحويل.

لكن في حالتنا هذه فقد قالت حجرة «الكونترول» إن المبلغ تم تحويله، وهذا صحيح من جهة، وغير صحيح من جهة أخرى؛ فهو صحيح لأنه قد تم التحويل فعلًا، وهو غير صحيح لأن الثري العربي لم يتلقَّ التحويل، فقد تلقَّاه آخَر لا يعرفه أحد. فكيف تمَّت هذه السرقة الغريبة التي تجاوزت كلَّ شيء، وضحكت على بنك من أكبر البنوك؟

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين أمام هذه اللعبة الذكية، في نفس الوقت كان رقم «صفر» قد صمتَ. فجأة لمعت بُقعة ضوء في أعلى الخريطة، فعرفوا أن هناك رسالة ما. ابتعدَت أقدام رقم «صفر» في الوقت الذي أخذ الشياطين فيه يراقبون الخريطة جيدًا. إن ما قاله رقم «صفر» يعني أن المبلغ اختفى في «سويسرا» بعد تحويله إلى البنك المركزي هناك. وظهر تساؤل: لماذا لا يُسأل البنك المركزي السويسري حتى تنتهي المشكلة؟ ظلَّ هذا التساؤل معلَّقًا، فمن الممكن سؤاله لرقم «صفر» عند نهاية الاجتماع.

كان «أحمد» مستغرقًا في التفكير، حتى إن «بو عمير» سأله: هل توصَّلتَ إلى شيء؟

نظر له «أحمد» في هدوء، ثم قال: هناك احتمال أن يكون أحد من داخل البنك على اتصال بعصابة ما، فلا أظن أن أحدًا يقوم بهذه المهمة وحده. كذلك لا أظن أن أحدًا من المسئولين في البنك يمكن أن يعرِّض نفسه لمثل هذا الموقف، لأن ذلك يقضي عليه نهائيًّا، بجوار أنه قد يقضي على سُمعة البنك.

كانت أقدام رقم «صفر» قد بدأت تقترب، فصمت الشياطين. وعندما توقفت تمامًا قال رقم «صفر»: إن معلومات جديدة جاءت من عميل لنا في «سويسرا»، إن صفقة ماس قد تمَّت، وإن حجم الصفقة يُساوي مبلغ خمسة عشر مليونًا من الجنيهات، وهذه الصفقة لا يقوم بها أفرادٌ عادةً؛ فلا بدَّ أن تكون شركة من شركات الماس. غير أن الذي اشترى هو فعلًا فرد.

صمت رقم «صفر» في نفس الوقت الذي غرق فيه الشياطين بحثًا عن علاقة الماس بالسرقة.

لكنه قطع عليهم تفكيرهم بقوله: قد تبدو المسألة غريبة، لكن لحظة تأمل واحدة تقول إن تحويل المبلغ المسروق إلى ماس يمكن أن يكون لعبة ذكية، فحجم الماس لن يزيد على كيلو ونصف، في حين أن الخمسة عشر مليونًا من الجنيهات يمكن أن تمثِّل مشكلة. في نفس الوقت عندما تتحوَّل الملايين إلى سلعة مثل الماس فإنها تكون قد خرجت من دائرة العمل البنكي إلى دائرة أخرى أكثر أمنًا.

ظهرت الدهشة على وجوههم؛ فهذه فعلًا ملاحظة شديدة الذكاء، هذا إذا كانت صحيحة فعلًا، لكن هذا كان مجرَّد افتراض قد يكون صحيحًا وقد لا يكون.

قال رقم «صفر»: هناك سؤال، لماذا لم يتم حتى الآن سؤال البنك المركزي السويسري؟

اتسعت أعين الشياطين دهشةً؛ فقد كان هذا السؤال هو نفسه ما فكَّروا فيه.

قال رقم «صفر»: أنتم طبعًا فكَّرتم في هذا السؤال. إن عالم البنوك عالمٌ سريٌّ، ولا يملك أي بنك أن يقدِّم أي معلومات عن عملائه أو عن أرصدتهم، بالإضافة إلى أن المبلغ الذي تم تحويله من البنك الإسباني قد أصبح داخل رصيدٍ آخَر في البنك السويسري.

أي إن المبلغ قد اختفى نهائيًّا. المهم أن نعثر على منفذ هذه اللعبة الذكية والخطيرة في نفس الوقت.

ثم صمت رقم «صفر».

وبدأ الشياطين يفكِّرون في خطة المغامرة، إن المعلومات التي لديهم الآن تكفي كي ينطلقوا إلى «سويسرا»، حيث دارت أغرب سرقة بنكية، وحيث تحوَّلت الملايين إلى ماس.

قال رقم «صفر» يقطع تفكيرهم: إنني في انتظار أسئلتكم.

مرَّت دقائق دون أن يسأل أحدٌ من الشياطين. وعندما بدأ رقم «صفر» يتمنَّى لهم التوفيق، ارتفع صوت «قيس» يقول: ربما يكون السؤال خارجًا عن محيط السرقة ذاتها، لكني أسأل لماذا يتوزَّع رصيد إنسان ما في عدد من البنوك؟

أجاب رقم «صفر»: إن هناك قاعدة تقول: لا تضع البيض كله في سلة واحدة، والمقصود أنك لو وضعتَ البيض كله في السلة ثم حدث لها شيء، فإنك سوف تفقد البيض جميعه. لكنَّك لو وزَّعتَ البيض في أكثر من سلة، فإن بعضه سوف ينجو إذا حدث شيء، ورأس المال كذلك. وصاحب رأس المال يقوم بتوزيعه في أكثر من بنك لأن أي مكان معرَّض لأي خطر، تمامًا كما حدث مع مواطننا العربي. فلو أنه وضع كل أمواله في بنك واحد فالمؤكد أنه كان سيندم الآن.

صمت لحظة، ثم قال: أظنك فهمتني.

ما كاد رقم «صفر» يقول جملته الأخيرة حتى لمعت بقعة الضوء مرة أخرى، فتحرَّك مبتعدًا حتى اختفى صوت أقدامه.

وقالت «زبيدة»: إنها معلومات جديدة في الطريق إلينا!

قال «عثمان»: هل يكون الجاني قد وقع، وهكذا تنتهي المغامرة؟

لم يرُدَّ أحد بكلمة، كانوا جميعًا يفكِّرون في العشرين مليونًا، وفي المواطن العربي. في نفس الوقت الذي كان «أحمد» ينظر فيه إلى خريطة سويسرا مستغرقًا في تفاصيلها، وكأنه يرسم في ذهنه خطة التحرُّك. كان «أحمد» يفكِّر: إن البنك المركزي السويسري يقع في «برن»، وفي نفس المدينة تمَّت صفقة الماس. غير أنها لا بد أن تخرج من «سويسرا» إلى مكان آخَر، وهو في الغالب واحد من ثلاث: إما إلى ألمانيا، أو إلى إيطاليا، أو إلى فرنسا.

توقَّف عن التفكير لحظةً، ثم رسم بيده على المنضدة التي أمامه موقع «سويسرا» بين الدول الثلاث، ثم توقف إصبعه عند نقطة ما على شاطئ بحيرة «لوجانو» التي تقع على الحدود بين إيطاليا وسويسرا، وقال في نفسه: إن هذه المنطقة مزدحمة بالسياح وطالبي الراحة، وينزل فيها كثير من أثرياء العالم.

وهي ذات حراسة خاصة لطبيعة النزلاء فيها، وهذا يعني أن الذي يذهب إليها يخضع لنفس الحراسة، ويكون في أمان.

رفع وجهه إلى سقف القاعة الأزرق الهادئ، وكأنه ينظر إلى مياه بحيرة «لوجانو». غير أن صوت أقدام رقم «صفر» جعله يُعيد النظر إلى حيث مصدر الصوت الذي جاء بعد قليل ليقول: إن الرسالة التي وصلت الآن تُعتبر مفاجأة؛ لأنها تكشف تمامًا كيف تمَّت السرقة.

ثم توقف رقم «صفر» عن الكلام، بينما كانت علامات التساؤل قد غطَّت وجوه الشياطين في انتظار المفاجأة التي أعلن عنها.

لقاء في «الكارلتون»!

قال رقم «صفر» بعد لحظة: إن بنك إسبانيا قام بعملية إصلاح للعقول الإلكترونية التي لديه منذ عدة أشهر، فعندما أعلن عن حاجته إلى تنفيذ ذلك تقدَّمت إحدى الشركات وهي «شركة العقول الإلكترونية» لتنفيذ ما طلبه البنك، وهذه المسألة عادية. غير أن عملاءنا بحثوا عن هذه الشركة فلم يجدوها. يبدو أنها شركة وهمية، أو أنها شركة تابعة لجهةٍ ما. ومن الممكن طبعًا أن تكون الشركة تابعة لإحدى العصابات، وعن طريق معرفة برنامج البنك وأرقامه السرية التي تعمل بها العقول يمكن أن تتم السرقة، فما معنى اختفاء الشركة إذا كانت واحدة من الشركات الكبرى والمعروفة بالفعل؟ وصمت رقم «صفر».

وتنفَّس الشياطين في ارتياح؛ فإن العمل مع العصابات أصبح تخصُّصهم، فكل مغامراتهم كانت ضد عصابات كبيرة مثل عصابة «سادة العالم» مثلًا، أو «الأصابع الذهبية»، أو غيرها من العصابات التي اصطدموا بها. وإذا كانت هناك عصابة تقف خلف شركة «العقول الإلكترونية» فإن ذلك يكون أسهل وأسرع، فإن شخصًا واحدًا يمكن أن يختفي ولا يظهر، لكن بالنسبة للعصابة فإن نشاطها الدائم يمكن أن يكون الطريق إليها.

أخيرًا أضاف رقم «صفر»: إنني أعرف كيف تفكِّرون الآن، فهذه ليست مهمة عسيرة بالنسبة لكم. غير أن المسألة أنها يجب أن تتم بسرعة حتى لا تتكرَّر. إن التقارير التي جاءتنا من العملاء تقول إن بنوك العالم بدأت في وضع خطة لتغيير برامج عقولها الإلكترونية، ورغم أن هذه عملية شاقة إلا أنها ضرورية.

توقف لحظة، ثم قال: أنتم تعرفون أن السرقة تمَّت في «سويسرا»، وأن صفقة الماس قد تمَّت هناك أيضًا، وهذا يعني أنكم عرفتم مجال مغامرتكم، إن مهمتكم قد تحدَّدت في البحث عن الشركة الوهمية.

توقف رقم «صفر» عن الاستمرار في الكلام؛ فقد لمعت بقعة الضوء في أعلى الخريطة، وبسرعة اختفى صوت أقدامه، والتقت أعين الشياطين في حديث صامت سريع، فقد وضح كل شيء أمامهم الآن. إن ما يفكِّرون فيه في هذه اللحظة هو الانطلاق إلى حيث يمكن أن يبدأ الصراع.

قطع تفكيرهم صوت أقدام رقم «صفر» وهو يقترب حتى توقَّف تمامًا، وقال: إن صفقة الماس التي تمَّت ظهرت في مدينة «لوجانو» على شاطئ البحيرة المشهورة، ويمكن أن تتم سرقة أخرى، أو عملية نصب أخرى واسعة. فأنتم تعرفون أن كثيرًا من أثرياء العالم يفضِّلون هذا المكان لجماله وهدوئه، وظهور الماس يمكن أن يظهر كتجارة عادية، لكنه يمكن أيضًا أن يكون مقدمة لجرائم أخرى.

صمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: شركة العقول الإلكترونية كان مقرها مدينة زيورخ في سويسرا، هكذا قدَّمت الشركة أوراقها. والآن إنني في انتظار أسئلتكم.

ساد صمت في القاعة الهادئة، ولم يسأل أحدٌ من الشياطين أيَّ سؤال، وفي النهاية قال رقم «صفر»: أتمنى لكم التوفيق!

ثم أخذ صوت أقدامه يختفي حتى لم يعُد يُسمَع.

قال «مصباح»: علينا أن ننطلق الآن.

في دقائق كان الشياطين قد غادروا القاعة إلى حجراتهم لتجهيز حقائبهم السرية.

وعلى شاشة التليفزيون في حجرة «أحمد» جاءته أوامر رقم «صفر» يحدِّد المجموعة التي سوف تقوم بالمهمة، كانت المجموعة تضم: «أحمد»، «مصباح»، «بو عمير»، «قيس»، وعندما خرج من حجرته كان الثلاثة يتجهون معًا إلى حيث تقف السيارة التي سيركبونها، فانضم إليهم «أحمد». ولم تكَد تمضي دقائق حتى كانت السيارة تنطلق بسرعة وهي تتجاوز البوابة الصخرية للمقر. وعندما أُغلقَت البوابة في صوت مكتوم، كانت السيارة قد بدأت تغيب عن أعين بقية الشياطين في المقر، الذين كانوا يقفون في إحدى شرفاته المُطِلَّة على الطريق.

قال «قيس» الذي كان يجلس إلى عجلة القيادة: أعتقد أننا سوف نصل هناك مع غروب الشمس، هذا إذا وجدنا مقاعد في الطائرة.

ابتسم «أحمد» وهو يرد: إن المقاعد محجوزة منذ بدأنا الاجتماع، لقد أنهى رقم «صفر» اجتماعنا في التوقيت المناسب حتى لا يتأخر الوقت.

وتمامًا كما توقع «قيس»، كانت طائرة الخطوط الجوية السويسرية تنزل في مطار «زيورخ» مع غروب الشمس تمامًا، وغادر الشياطين المطار بسرعة، وفي خارجه كانت

أشعة الشمس تكاد تنسحب من الوجود الذي كان يسبح في اللون النحاسي الذي خلفته الشمس. كان الجو بديعًا بعكس ما كان موجودًا خارج المقر السري. هذا الصباح في لحظة كان يقترب منهم أحد الرجال، ألقى عليهم تحية المساء، ثم قدَّم «لأحمد» سلسلة مفاتيح، وأشار إلى سيارة تقف قريبًا من الرصيف، ثم انصرف.

فأخذ الشياطين طريقهم إلى السيارة، وما إن فتح «بو عمير» الباب حتى رنَّ جرس التليفون الموجود في السيارة، أسرع يرفع السماعة ليسمع ما يُقال.

قال الطرف الآخَر: أهلًا بكم في «زيورخ»، سوف تنزلون في فندق «كارلتون». الحجرات ٨، ١٢، ١٤، ١٦. وأظن أنكم لن تظلوا طويلًا. تحياتي، أنا تحت أمركم. وُضِعَت السماعة في الطرف الآخَر، فوضع «بو عمير» السماعة، ثم نقل المكالمة إلى الشياطين.

جلس «مصباح» إلى عجلة القيادة، ثم ضغط زرًّا خاصًّا فتحرَّك مؤشر البوصلة يحدِّد موقع «الكارلتون»، انطلق بالسيارة في نفس اتجاه المؤشر، لم تكن الشوارع مزدحمة، وكانت الإضاءات الخافتة تميِّز الشوارع بهدوء كانوا يحتاجونه الآن؛ حتى يستعدوا للبداية بعد رحلة السفر الطويلة. بعد قليل ظهرت لافتة مُضاءة، قرأها «قيس»، وكانت هي نفسها لافتة «الكارلتون». دخل بالسيارة في مكان انتظار السيارات، فغادروها بسرعة، ثم أخذوا طريقهم إلى الفندق.

كان الفندق يعج بالنزلاء، حتى إن «مصباح» قال: أرجو أن نجد لنا صيدًا في هذا الزحام.

ولذلك فإن أحدًا منهم لم يتوجَّه إلى موظف الاستقبال مباشرة، فقد أخذوا ركنًا في الصالة الواسعة، وجلسوا حيث كان كثير من النزلاء في حالة أحاديث متناثرة. كان «أحمد» يمُرُّ بعينَيه فوق أوجه النزلاء، لكنه فجأة شعر بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة ما. وكانت ذبذبات معيَّنة تتردَّد، فعرف أن الرسالة من رقم «صفر». وضع يده على الجهاز في هدوء وكأنه يُخرج شيئًا من جيبه، وبدأ يتلقَّى ذبذبات الجهاز. لاحظ «بو عمير» ذلك إلا أنه انصرف عن متابعة «أحمد» حتى لا يلفت النظر إليه. مرَّت دقائق، أخرج «أحمد» بعدها يده من جيبه، ثم نقل إلى الشياطين الرسالة التي تلقاها.

كانت الرسالة تقول: «خبير العقل الإلكتروني متوسِّط العمر، رفيع جدًّا، يلبس نظارات بيضاء سميكة، غزير الشَّعر، يميل لونه إلى السُّمرة وكأنه من أمريكا الجنوبية، يتحدَّث بصعوبة؛ لأنه يتأثئ كثيرًا».

قال «بو عمير»: إنها رسالة جيدة، فهي يمكن أن تختصر لنا الوقت.

أصبح شغل الشياطين منذ هذه اللحظة هو مراقبة نزلاء الفندق، فربما كان بينهم هذا الخبير الإلكتروني.

ولقد فكَّر «أحمد»: إن العشرين مليونًا تحوَّلت إلى البنك المركزي السويسري في «زيورخ». وصفقة الماس تمَّت في «زيورخ» أيضًا، وهذا يعني أن احتمال وجود الخبير هنا كبير. لكن «أحمد» فكَّر في نفس الوقت: من الممكن أن يكون الخبير قد اختفى تمامًا من «زيورخ» بل من «سويسرا» كلها.

فجأةً وقف وهو يقول للشياطين: ينبغي أن نبدِّل ملابسنا الآن.

اتجه «قيس» إلى موظف الاستقبال، فأحضر مفاتيح الحجرات، وأخذوا طريقهم إلى المصعد، فاستقلوا واحدًا صعد بهم إلى الطابق الثامن عشر؛ حيث تقع حجراتهم. إن أرقام الحجرات كما هو مكتوب على الميدالية النحاسية تنتهي بحرف «ك»، ولذلك جاء الطابق مرتفعًا تمامًا. نزلوا في طابقهم ثم اتجهوا إلى حجراتهم. بعد ربع ساعة كانوا قد تجمَّعوا في حجرة «أحمد» التي كانت تطل على سلسلة من الجبال في منظر بديع. وقفوا جميعًا يشاهدون المنظر في نفس الوقت الذي كان الليل فيه قد غطى كلَّ شيء، فبدَت الجبال وكأنها أشياء غامضة لم يكن يظهر من تفاصيلها إلا تلك الأماكن التي يلمع فيها الضوء، فقد كانت هناك نقط إضاءة متناثرة في الجبال، وعلى مسافات متباعدة.

نظر «قيس» أسفل الشرفة، كانت هناك شرفة بلا سقف، ويبدو أنها كانت شرفة الطابق السادس. كان النزلاء يجلسون فيها وهم يوجِّهون أنظارهم تجاه الجبال، كان النزلاء واضحين تمامًا تحت الإضاءة المتوسطة. واستطاع «قيس» أن يحدِّد بينهم بعض العرب، بعضهم بملابسهم التقليدية، والبعض الآخَر بالملابس الأوروبية، وإن كانت ملامحهم لم تخفَ عليه، خصوصًا وأن بعضهم كان يربِّي لحيته بطريقة أنيقة. فكَّر: هل يمكن أن يكون هناك حالة نصب بين هؤلاء؟

لفت نظر الشياطين إلى الشرفة، وحركة الخدم وهم يقدمون طلبات النزلاء، ثم أخذ طريقه إلى داخل الحجرة، وعاد بعد لحظة وهو يحمل منظارًا مكبِّرًا وضعه فوق عينَيه، ثم أخذ يستعرض النزلاء في محاولة لأن يعثر على شيء، توقف عند اثنين في ركن منعزل، كانا يتحدثان باهتمام.

أَخرَج من جيبه فراشة دقيقة، ثم وجهَّها إلكترونيًّا وأطلقها، وهمس «لأحمد»: فليراقب أحد الفراشة، إنني أحاول أن أستمع إلى حديث الرجلين. ثم أشار إليهما.

راقبَ «أحمد» الفراشة التي طارت في اتجاههما، ثم دخلت أسفل المنضدة الصغيرة التي تفصل بينهما. وضع «أحمد» جهاز التوجيه الإلكتروني على أذنه، وبدأ يستمع إلى

حديث الرجلين. كان الشياطين قد انهمكوا في مراقبة النزلاء، وسمع «أحمد» الحوار الذي يدور:

– إن مثل هذه الصفقات تحتاج إلى وقت، فأنت تعرف طبيعة الناس في هذه المناطق.

– نعم، لكن السوق يحتاج إلى هذه المواد هناك، وقد جاءتني رسالة تقول إن السوق يحتاج الآن بشدة لكل أنواع المأكولات المجمدة.

ظلَّ الحوار بين الرجلين يدور حول الأطعمة وتصديرها إلى منطقة الشرق الأوسط، فعرف «أحمد» أنها مجرد صفقة عادية، فاستعاد الفراشة بطريقة التوجيه.

فجأة همس «قيس»: هل ترون الرجلين الجالسين على اليسار في أقصى الشرفة وعند حافتها؟

جرت أعين الشياطين إلى حيث حدَّد «قيس» المكان. علَتِ الدهشة وجوه الشياطين؛ كان يجلس رجلان تكاد تقترب ملامحهما تشابهًا، أحدهما يلبس الملابس العربية، والآخَر يلبس قميصًا وبنطلونًا. توقَّفَت أعين الشياطين عند الرجل لابس القميص، كانت أوصاف خبير العقول الإلكترونية تنطبق عليه تمامًا، فهو رفيع جدًّا، أسمر اللون، يلبس نظارات سميكة وإن كانت ليست بيضاء، غزير الشعر.

قال «بو عمير»: كأنه هو!

أسرع «أحمد» بتوجيه الفراشة في اتجاههما حتى اختفت، ثم بدأ يستمع إلى حديثهما الذي ينقله جهاز الإرسال الدقيق الذي تحمله الفراشة.

كان الرجل الرفيع يضحك بصوت خشن لا يتناسب مع حجمه الضئيل، ثم قال بلغة إنجليزية سليمة دون أي عيب في النطق: إن ما قدمته لك يا سيدي لا يعدو أن يكون مجرَّد عينة، إن لدينا أحجامًا أكبر، وأنت تعرف أن هذه الأحجام الكبيرة نادرة.

قال الرجل العربي: لا بأس دعنا نرَ.

ضحك الرجل الرفيع مرة أخرى، وقال: إن ذلك يحتاج منا إلى رحلة ممتعة.

تساءل العربي: إلى أين؟

قال الرجل: إنني أدعوك إلى رحلة في بحيرة «لوجانو»، أظنك لم تشاهدها من قبل، إنها من أجمل بقاع «سويسرا».

قال الرجل العربي: إنها مكاني المفضل، ولا يكاد يمُرُّ عام دون أن أقضي هناك بعض الوقت.

ضحك الرجل، وكان يضحك كثيرًا: إذَن لقد اتفقنا و...

فجأة علَت الدهشة وجه «أحمد»؛ فقد ثأثأ الرجل، وأخذت ألفاظه تتلكأ فتبدو مضحكة، مما جعل الرجل العربي يضحك فعلًا. وأضاف الرجل: إذَن حتى نلتقي.

ثم نهض واقفًا، فوقف الرجل العربي وهو يقول: سوف أكون هناك يوم الأربعاء، أيْ بعد يومين، إنني أنزل في فندق «الشيراتون».

قال الرجل وهو يشد على يده مودِّعًا: لقاؤنا هناك إذَن، إلى اللقاء.

ثم انصرف.

كان الشياطين يراقبون ذلك كله، فقال «أحمد»: «مصباح» يسرع بمراقبته.

قفز «مصباح» خارجًا من الحجرة ليلحق بالرجل، في نفس الوقت الذي ظلَّ فيه «أحمد» يراقب الرجل العربي الذي جلس وحده، استعاد «أحمد» الفراشة، وانتظر. إن «مصباح» يمكن أن يكون بداية المغامرة.

مرَّت عدة دقائق، ولم يكن «مصباح» قد ظهر بعدُ، ولم يكن الرجل العربي قد غادر مكانه، لكن فجأةً دخل «مصباح» مُسرعًا، وكان يبدو حزينًا بعض الشيء.

سأله «قيس»: هل ...؟ ولم يكمل سؤاله، فقد رفع «مصباح» يده وهو يقول: «لقد اختفى الرجل!»

الشياطين لا يعرفون اليأس!

عاد «أحمد» إلى مراقبة العربي دون أن يعطي لاختفاء الرجل الآخَر أهمية كبيرة، فهو يعرف الآن كيف يمكن أن يلتقي به أو يجده، فيوم الأربعاء سوف يكون في مدينة «لوجانو» عند شاطئ البحيرة، أو في فندق «الشيراتون»، لكنه كان يفكِّر: إن العربي يمكن أن يكون مصدرًا للمعلومات عن هذا الرجل.

ولذلك فقد التفت إلى الشياطين وقال: إن مواطننا العربي هو طريقنا الآن لمعرفة المزيد من المعلومات، وصمت لحظة ثم قال: أقترح أن يقوم «قيس» بالمهمة.

وافق الشياطين، فانصرف «قيس» بسرعة. لكن عندما التفت «أحمد» إلى شرفة الدور السادس كان الرجل العربي قد غادر مكانه واختفى هو الآخَر، كاد «أحمد» يضحك لكنه كتم ضحكه، وإن كان «بو عمير» قد لاحظ ذلك، فسأله عن السبب.

رد «أحمد» في بساطة: لقد اختفى العربي أيضًا.

كادوا يضحكون جميعًا، إن هذه الأمور قد تبدو لهم وكأنها مداعبة الظروف، لكنهم لا يشعرون باليأس أبدًا، فهذه قاعدة عندهم: «الشياطين لا يعرفون اليأس».

جلسوا في الحجرة في انتظار عودة «قيس». كانوا يتحدثون حول سفرهم إلى «لوجانو»، وإن كان «مصباح» قد اقترح: ما دام هناك يومان حتى لقاء الرجل والعربي، فإننا نستطيع أن نقوم بتحرياتنا حول شركة العقول الإلكترونية. ومن يدري، فقد تكون قد ظهرت مرة أخرى، أو تكون قد أصبحت تحت اسم آخَر.

مرَّت نصف ساعة، كان القلق قد بدأ يساورهم حول تأخُّر «قيس».

فقال «بو عمير»: سوف أذهب لأرى.

وهمَّ «بو عمير» بالانصراف.

لكن فجأةً قال «أحمد»: «انتظر. ينبغي أن ننزل جميعًا، فوجودنا هنا أصبح بلا فائدة». نزل الشياطين.

وعندما كانوا يبتعدون عن باب المصعد وقفوا فجأةً، وقد علَت الدهشة وجوههم؛ لقد وجدوا «قيس» يجلس مع الرجل العربي، وما إن رآهم حتى أشار إليهم، فاتجهوا إليه.

وقف الرجل العربي، فقدَّمه «قيس»: السيد «سعد» رجل الأعمال العربي. ثم قدَّم الشياطين بأسماء مستعارة.

جلسوا جميعًا، ودار حوار حول الوطن العربي والرحلات خارجه. كان «سعد» مرحًا تمامًا، فأخذ يقصُّ عليهم رحلاته، ثم اتجه الحديث إلى التجارة، فحكى لهم أساليب السوق، ومغامراته، والصفقات الضخمة التي عقدَها، وربح من ورائها الكثير. وعرف الشياطين أنه يعمل في كل شيء، وأنه لا يتخصَّص في تجارة بالذات.

قال «سعد» في النهاية: إنني أمام صفقة من الصفقات الطيبة في حياتي، ولو تمَّت فإنني سوف أحقِّق ربحًا هائلًا.

سأله «أحمد»: هل عمل السيد «سعد» في تجارة الذهب؟

ضحك «سعد» طويلًا، ثم قال: نعم، عملت فيه وربحت أرباحًا طيبة، وإن كنت قد خسرت في بعض الأحيان، عندما انخفض سعر الذهب منذ حوالي عامين، إنها تجارة مُخيفة، فإما تربح فيها ربحًا ضخمًا، أو تخسر خسارة ضخمة أيضًا، فالتعامل في تجارة الذهب يصل إلى عشرات الملايين من الجنيهات.

صمت لحظة ثم قال: إنها تجارة تعتمد في رأيي على إحساس خاص، بعيدًا عن أي حسابات.

تنفَّس بعمق، ثم قال مبتسمًا: لا أخفي عليكم بعد أن أصبحنا أصدقاء، إنني بسبيلي إلى عقد صفقة ماس طيبة.

وصمت لحظة ثم قال: هل تبقون هنا طويلًا؟

فأجاب «أحمد»: ربما نرحل غدًا أو بعد غد إلى بحيرة «لوسرن» لنقضي هناك عدة أيام.

قال بلهجة خبير: لو تسمعون نصيحتي إن الذهاب إلى بحيرة «لوجانو» أمتع ألف مرة من بحيرة «لوسرن»، لقد ذهبت إلى معظم هذه المناطق، وفيها — كما أخبرتكم — استطعت أن أعقد صفقات طيبة؛ فمعظم رجال الأعمال الكبار يلتقون هنا. وبين الطبيعة الجميلة والرغبة في الاسترخاء تعقد الصفقات الضخمة. إن بحيرة «لوجانو» من الأماكن المفضلة عندي، فهي تقع بين الحدود السويسرية الإيطالية.

صمتَ لعدة ثوانٍ، ثم أضاف: سوف أكون هناك بعد غد، وأنا أنزل دائمًا في فندق الشيراتون. أرجو أن أراكم هناك، فسوف أمضي عدة أيام ما لم يظهر ما يجعلني أرحل.

طالت السهرة بين أحاديثَ شتَّى. وعندما انصرفوا قال «سعد»: أرجو أن نلتقي مرةً أخرى.

عاد الشياطين إلى حجرة «أحمد»، لكنهم لم يمكثوا كثيرًا؛ فقد اتفقوا بسرعة على أن يقوم «مصباح» و«بو عمير» في الغد بجولة بحثًا عن عنوان شركة العقول الإلكترونية الذي حصلوا عليه من عميل رقم «صفر». وعندما انصرف كلٌّ منهم إلى حجرته ناموا جميعًا بسرعة؛ فقد كان اليوم مشحونًا بكثير من العمل، غير أن «مصباح» كان أول مَن استيقظ، وعندما رفع سماعة التليفون يطلب «بو عمير» سمع دقة معيَّنة على الباب تعني أن «بو عمير» ينتظره.

لقد كان «بو عمير» نفسه يقف على الباب. وفي دقائق كانوا يقطعون شوارع «زيورخ» إلى شارع ٢٠، حيث يقع مقر شركة العقول «الإلكترونية». كان النهار بديعًا، ولم تكن الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحًا، وبعد قليل دخلوا شارع ٢٠.

فقال «مصباح»: الشركة في المبنى رقم ١٩٩.

اقتربا من المبنى الذي كانت ترتفع طوابقه، أوقف «بو عمير» السيارة في موقف قريب، ثم سارا إلى حيث المبنى. كانت حركة نشطة تدور داخل المبنى ... دخلا من البوابة الضخمة، فوجدا خريطة تبيِّن الطوابق، كان المبنى مقرًّا لعدد من الشركات التجارية، ومكاتب الديكور، ولم يجدا على الخريطة ما يُشير إلى شركة العقول الإلكترونية. غير أنه في يمين المدخل كان يوجد مكتب للاستعلامات، اتجها إليه، وكانت هناك موظفة حسناء تجلس خلف الحاجز الزجاجي، ألقى إليها «مصباح» بتحية الصباح، ثم سألها عن شركة «العقول الإلكترونية».

ابتسمت الموظفة وقالت: هل تحتاجون إلى شيء معيَّن؟

ردَّ «بو عمير»: نعم، إن لدينا عملية لتغيير عقل إلكتروني، ونحتاج إلى شركة متخصِّصة، ولقد قيل لنا إنه توجد شركة في المبنى رقم ١٩٩ في شارع ٢٠.

ابتسمَتْ وهي تقول: لقد تعدَّدت الأسئلة حول هذه الشركة، وصحيح أنها كانت هنا منذ عدة أشهر، لكنها انتقلت ولا ندري إلى أين.

هزَّ «مصباح» رأسه، وقال: «ألا توجد شركة أخرى هنا؟»

قالت: نعم، توجد شركة المستقبل للعقول الإلكترونية، لكنها ليست متخصِّصة في الإصلاح، إنها متخصِّصة في بيع العقول فقط.

استمر الحديث عدة دقائق، ثم شكرَها «بو عمير» وانصرفا. كان واضحًا أن ما توصَّل إليه عملاء رقم «صفر» صحيحٌ، وأن على «بو عمير» و«مصباح» العودة إلى فندق «الكارلتون» فورًا. عندما وصلا إلى هناك لم يجدا «أحمد» و«قيس»، لكنهما وجدا رسالة شفرية في حجرة «أحمد».

كانت الرسالة تقول: «٤–٦–٣–٨–ن–ق–٩». قرأها «مصباح» بسرعة ثم ترجمها، وكانت الترجمة: «ظهرَ شركاء الماس، إننا خلفهما، انتظرا في الفندق، موعدنا التاسعة».

قال «بو عمير»: هل يعني هذا أنهما وجدا خبير العقول الإلكترونية؟

قال «مصباح» بعد لحظة: أعتقد أن رجل الماس ليس هو نفسه خبير العقول؛ فلا أظن أن خبيرًا يمكن أن يعمل في تجارة الماس، لا بد أنه رجل آخَر، وربما تكون الصدفة هي التي تلعب دورها، فيحدث هذا التشابه بين الرجلين، لكن هذا لا ينفي أننا يمكن أن نستفيد من ظهور تاجر الماس، فربما يفتح الطريق أمامنا إلى العصابة.

هزَّ «بو عمير» رأسه موافقًا وهو يقول: قد تكون هذه وجهة نظر صحيحة.

أخذا طريقهما إلى الشرفة، فجلسا فيها. كان المنظر أمامهما رائعًا. ظهرت الجبال واضحة الآن، وكانت تلمع تحت أضواء الشمس بألوانها البُنِّية المتدرِّجة من البُنِّي الفاتح حتى البُنِّي الذي يقترب من الأسوَد. فجأةً دقَّ جرس متقطِّع، فعرفا أن هناك رسالة.

أسرع «بو عمير» إلى جهاز الاستقبال وتلقَّى الرسالة، كانت من «أحمد»: اللقاء في المطار في السابعة.

نقل «بو عمير» الرسالة إلى «مصباح» الذي قال: هذا يعني أن هناك خيطًا ما. ونظر في ساعته ثم قال: لا يزال أمامنا وقت طويل.

فجأةً دارت أُكرة الباب، فتعلَّقت أعينُهما بالحركة، وهمسَ «بو عمير»: خذ حذرك!

قفز الاثنان كلٌّ في اتجاه مخالِف من الباب. مرَّت لحظة فتح الباب بسرعة، وظهر رجلان يحمل كلٌّ منهما مسدسًا، كان الباب مفتوحًا حتى آخِره، وكانت هذه فرصة لم يضيِّعها «بو عمير»، فقد كان يرقد بالقرب منه، ولذلك فقد ضربَ الباب بقدمه ضربة قوية مفاجئة، فاصطدم بالرجل الأول الذي اصطدم بالثاني، فوقعا معًا.

في نفس اللحظة التي كان فيها «مصباح» قد طار في الهواء قبل أن يستطيع أيٌّ منهما القيام بحركة، إلا أن أحدهما كان قد أطلقَ طلقةً من مسدسه، لكنها لم تُصِب «مصباح» الذي كان قد تحرَّك. وفي سرعة خاطفة ضربَ يد الرجل بقدمه، فطار المسدس بعيدًا. كان «بو عمير» قد قفز بسرعة وقبض على يد الرجل الثاني بقوة، ثم لوى ذراعه وضربه، فصرخ الرجل من الألم.

كانت معركة سريعة جدًّا، سيطرا فيها على الموقف. رقد الرجلان على أرض الحجرة، بينما أسرع «بو عمير» بإغلاق الباب. جلس «بو عمير» و«مصباح» أمامهما في انتظار أن تخفَّ آلامهما قليلًا، فقد وجدا أنها فرصة طيِّبة للخروج بشيء من المعلومات.

بعد دقائق بدأ أحدهما يرفع رأسه وينظر إليهما، كانت الشراسة تبدو في ملامح وجهه. نظر له «مصباح» لحظة، ثم قام إليه ووقف أمامه، وفي هدوء قال: «ماذا تريدان؟»

ظلَّ الرجل ينظر إليه، ثم انحنى بوجهه إلى الأرض دون أن يرد. تقدَّم «مصباح» ثم وضع يده على كتفَيه وضغط ضغطة قوية، غير أن الرجل احتملها في إصرار. ثم ضغط أكثر فبدا الألم على وجه الرجل. شدَّ قبضته أكثر فصرخ الرجل. إلا أن «مصباح» لم يرفع يده وسأله مرة أخرى: «ماذا تريدان؟»

لم ينطق الرجل.

اقترب «بو عمير» وقال: نُعطه حقنة الاعتراف.

فجأةً رفع الرجل الآخَر وجهه، ونظر إليهما في فزع.

قال «مصباح»: نعم، يبدو أننا سوف نلجأ إليها.

تحرَّك «بو عمير» بسرعة إلى حيث توجد حقيبته السحرية، فأخرج منها حقنة صغيرة في حجم عقلة الإصبع، رفعها أمامه حتى يراها الرجلان، وعاد إلى حيث يقف «مصباح» الذي قال: إنني أسألكما للمرة الأخيرة، ماذا تريدان؟

نظرا إلى بعضهما ولم ينطق أيهما بكلمة، فتقدَّم «بو عمير» من الرجل الأول، ثم رشق الإبرة في ذراعه فجأة، ثم نزعها بسرعة. مرَّت لحظة نظر فيها الرجل إلى «بو عمير»، ثم إلى «مصباح»، وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه، تحوَّلَت بسرعة إلى ما يشبه الصدمة، ثم بدأ الألم يزحف على وجهه، وفجأةً أخذ يتلوَّى من الألم.

قال «مصباح» للآخَر: هل ترى؟ أظن أنك لست في حاجة إلى هذا.

كان الآخَر ينظر إلى زميله في رعب. ثم قال بصعوبة: نحن لا نريد شيئًا.

قال مصباح: ولماذا دخلتما هنا؟

لم يرد الرجل، لكنه ظلَّ يتابع زميله الذي كان لا يزال يتلوَّى من الألم.

نظر «مصباح» إلى «بو عمير» الذي تحرَّك من مكانه، فقال الرجل بسرعة: سوف أتحدث.

وانتظر لحظة، ثم قال: أنتم تعملون في تجارة الماس.

هزَّ «مصباح» رأسه، ثم قال: ثم ماذا؟

قال الرجل: يجب أن تبتعدوا عن السيد «سعد».

ابتسم «بو عمير» وهو يقول: لماذا؟

نظر الرجل في تردُّد، وقال: إنني لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك.

التقت أعين «مصباح» و«بو عمير» الذي تحرَّك من مكانه، في نفس الوقت الذي اتجه فيه «مصباح» إلى الرجل الآخَر الذي كان يرقد بجوار الحائط.

نظر له وهو يقول: هل نعيد الحقنة مرة أخرى؟

ظهر الفزع في عينَي الرجل وهو يهمس بصعوبة: لا داعي أرجوك.

قال «مصباح»: إذَن تحدث.

مرَّت لحظة صمت. لكن فجأةً كانت طلقات الرصاص تدوي في الحجرة وكأنها المطر.

دعوة إلى مشارف الجبل!

كان «مصباح» يدرك ذلك من البداية؛ فقد وضع في حسابه أن الرجلَين لم يكونا وحدهما، ولذلك فإن صوت أول طلقة كان كفيلًا بأن يجعله ينبطح بسرعة على الأرض خلف السرير. في نفس الوقت كان «بو عمير» قد انزلق إلى الأرض هو الآخَر، لكنه لم ينتظر؛ فقد ترك «مصباح» يتعامل مع الهجوم الجديد، وأخرج إبرة مخدِّرة بسرعة فأطلقها على الرجل الأول، فاستغرق في النوم. ثم أطلق أخرى على الثاني فأصبح بلا حراك. كان «بو عمير» يدرك أنهما سوف يكشفان وجوده هو و«مصباح» فلجأ إلى الإبر المخدِّرة. لم يطلق «مصباح» أي طلقة، فقد تعامل مع الهجوم الجديد بالصمت. كانت الطلقات التي أطلقت من النوع الكاتم للصوت فظل ينتظر ظهور أحد.

مرَّت دقائق، وكانت الطلقات قد توقفت، جاء صوتٌ يُنادي في همس: أين؟ أين أنت؟

ولمَّا لم يسمع صوتًا، همس مرة أخرى: كامي. ألستما هنا؟ ولم يجبه سوى الصمت.

لحظة ثم ظهرت فوهة مسدس تسبق صاحبها، جهَّز «مصباح» مسدسه في انتظار ظهور صاحب المسدس، مرَّت لحظات ثم ظهرت قدم الرجل. وضع «مصباح» إصبعه فوق الزناد ... توقَّفَت القدم قليلًا، ثم ظهر وجه الرجل، ظلَّ يتلفَّت يمنة ويسرة، ثم بدأ يدخل بجسده.

انتظر «مصباح» حتى أصبح الرجل يقف في فتحة الباب بكامله. كان الترقُّب يظهر على وجهه. فجأة ظهرت الدهشة عليه، وتراجع بسرعة، حتى لم يعُد يظهر منه شيء. سمع «مصباح» همسًا لم يستطع أن يفهم منه شيئًا. أغلق الباب قليلًا.

فكَّر «مصباح» بسرعة: لا بد أن معه آخَر، هل يقومان بهجوم مفاجئ؟

انتظر لحظة، ثم نظر إلى «بو عمير» وأشار إليه إشارات فهمها، زحف «بو عمير» في اتجاه الشرفة، وكانت عينا «مصباح» على الباب خوفًا من حدوث مفاجأة، لكن الباب ظلَّ مفتوحًا.

فكَّر لحظة: هل يقوم بحركةٍ ما تكشف مَن يقف في الخارج؟ أم يتركه حتى يكشف نفسه بأي حركة يقوم بها؟ واختار أن يظلَّ ساكنًا.

فجأةً دقَّ جرس جهاز الاستقبال، وكانت هذه حركة كافية ليظهر أحد، وهذا ما حدث فعلًا، فبعد أن توقف جرس الجهاز، ظهرت فوهة المسدس من جديد. راقب «مصباح» حركة المسدس الذي لم يتقدَّم أكثر من ذلك، كان جهاز الاستقبال قد سجَّل الرسالة، لكن «مصباح» لم يستطع الحركة ليعرف ما بها، استخدم جهازه الخاص فأرسل رسالة إلى أحمد. لكن فجأةً ظهر جزء من وجه أحد الرجال، غير أنه لم يظهر في الباب، لقد ظهر في جانب الشرفة، وهذا ما توقَّعه «مصباح» وما أشار إلى «بو عمير» به. ألقى نظرة سريعة إلى «بو عمير» الذي هزَّ رأسه علامة أنه يرى كلَّ شيء، وأنه ينتظر اللحظة المناسبة. ظهر جزء أكبر من الوجه، كان يتحرك بحذَر، لكنه لم يكن يعرف أنه مكشوف للشياطين تمامًا.

جاء الرد من «أحمد»، فاستقبله «مصباح»، كان يقول: «نحن في الطريق».

كان «مصباح» قد أرسل رسالة موجزة يقول فيها إنه و«بو عمير» مشتبكان في معركة، ولذلك أسرع «مصباح» يرسل رسالة أخرى يحدِّد فيها الموقف بالضبط حتى يتصرَّف «أحمد»، وحتى لا يقع في أيدي الموجودين خارج الحجرة.

ظهر رجل الشرفة كاملًا الآن، كان يتقدَّم ببطء، أصبح يقف عند الباب الفاصل بين الحجرة والشرفة، كانت هذه لحظة مناسبة حتى يصطاده «بو عمير»، وقد كان «مصباح» مشغولًا بمراقبة باب الحجرة الخارجي. فجأةً كان الرجل يضغط زناده بعد أن وجَّه المسدس في اتجاه «بو عمير» الذي استطاع في اللحظة المناسبة أن يتحرَّك من مكانه، فأصابت الطلقة جانبًا من السرير واختفى الرجل.

في نفس الوقت جاءت من الباب الخارجي طلقات على أثر سماع الطلقة التي أطلقها رجل الشرفة، لكنها كانت طلقات طائشة، فقد أطلقها صاحبها لتخويف الشياطين أو إرهابهم. غير أن أحدًا منهما لم يرُدَّ على الطلقات، فقد ظلَّا صامتَين في انتظار فرصة أحسن. في نفس الوقت عرف «مصباح» و«بو عمير» أن الرجال قد اكتشفوا وجودهم داخل الحجرة.

مرَّت دقائق دون صوت، فزحف «مصباح» في اتجاه الباب حتى أصبح عند نهايته، ثم دفعه برفق حتى يضطر مَن بالخارج إلى عمل أي حركة، لكن لم يحدث، ففهم أن

الموجودين قد انصرفوا. جذب «فوطة» من فوق السرير، ثم كورها في شكل كرة، وقذف بها من الباب، لكن أحدًا لم يرد. فكَّر قليلًا: ربما يكون أحد في الخارج لكنه ينتظر فرصة أفضل.

فجأة جاءته رسالة من «أحمد»: «نحن في الفندق الآن».

ردَّ بسرعة: انتظر قليلًا.

اقترب من الباب، ونظر إلى الخارج، لكنه لم يجد أحدًا، وكانت «الفوطة» ملقاة في الممر. خرج في حذَر لكنَّه لم يرَ أحدًا، عاد إلى الحجرة بسرعة، ثم تحدَّث إلى «بو عمير» بلغة الشياطين. تحرَّك «بو عمير» إلى الشرفة في حذَر، لكنه في النهاية لم يجد أحدًا. عاد إلى «مصباح» فنزلا معًا بسرعة إلى حيث يوجد «أحمد» و«قيس» بعد أن أغلقا الشرفة والحجرة جيدًا. في الصالة الواسعة كان يجلس «أحمد» و«قيس» في انتظار استدعاء «مصباح»، لكنهما فجأةً وجدا «مصباح» و«بو عمير» أمامهما.

سأل «أحمد»: ماذا حدث؟

شرح له «مصباح» كلَّ ما دار، وأنهى حديثه بقوله: هناك اثنان في الحجرة مشدودا الوثاق.

أسرع «أحمد» إلى حجرته وخلفه الشياطين. لم يكن المصعد موجودًا، حاولوا استخدامَ أيٍّ من المصاعد الخمسة، إلا أنه لم يكن أيٌّ منها موجودًا. فكَّر «أحمد» بسرعة: هل يستخدم السلم؟ إن الطابق الذي ينزلون فيه هو الخامس عشر، فهل يصعدون خمسة عشر طابقًا؟

توقَّف عن التفكير لحظة، في نفس الوقت الذي تحدَّث فيه «قيس»: إن هناك شيئًا غير عادي، فلا يمكن أن تتعطَّل المصاعد كلها، ولا يوجد عامل من عمَّال المصاعد.

أسرع «مصباح» إلى استعلامات الفندق، وتحدَّث إلى الموظف الذي أقبل بسرعة. وحدث هرج في الصالة؛ فهذه أول مرة تتعطَّل فيها المصاعد دفعة واحدة. فجأةً لمعت في لوحة الأدوار أرقام متتالية، وكان هذا يعني أن المصاعد قد تحركت. وصل أحد المصاعد فاندفع الشياطين داخله برغم زحام النزلاء، وارتفع المصعد بسرعة حتى الطابق الخامس عشر. انطلق الشياطين إلى حجرة «أحمد» التي كانت لا تزال مغلقة، وفتحها بسرعة ثم دخلوا، وكانت المفاجأة أن الرجلين غير موجودين، ووقف «مصباح» ينظر في دهشة، في نفس الوقت الذي اندفع فيه «بو عمير» إلى الشرفة التي كانت مغلقة هي الأخرى.

قال «أحمد»: هل توجد مصاعد أخرى؟

مرَّت لحظة صمت قبل أن يقول «قيس»: مصاعد الخدمة، لا بد أنها في خلفية الفندق.

أسرع «قيس» خارجًا في نفس الوقت الذي رفع فيه «أحمد» سماعة التليفون ليتحدَّث إلى استعلامات الفندق، وبعد كلمات قليلة وضع السماعة، ثم قال: لا بد أنهم استخدموا مصاعد الخدمة.

عاد «قيس» قائلًا: نعم، توجد مصاعد كما توقَّعت.

فقال «أحمد»: يبدو أنهم استخدموها. ثم أضاف بعد قليل: هذا لا يعني أننا فقدنا كلَّ شيء. إن ما حدث يعني شيئًا واحدًا، أننا مُراقَبون، خصوصًا وأن أحد الرجلين قد طلب من «مصباح» أن نبتعد عن «سعد».

قال «بو عمير»: أعتقد أكثر أننا مُراقَبون في كل لحظة، ولا أستبعد أن تكون المراقبة قد شملت لحظة ذهابنا إلى حيث مقر «شركة العقول الإلكترونية»، بل ربما تكون موظفة الاستعلامات واحدة منهم.

جلس الشياطين صامتين، لكنَّ كلًّا منهم كان يفكِّر فيما حدث. أخيرًا قال «أحمد»: إن ما حدث في صالحنا تمامًا، ونحن لم نخسر شيئًا، نحن كسبنا أشياء. وما داموا قد ظهروا فهذا يعني أننا نسير في الطريق الصحيح، وأننا سنقابلهم حتمًا. وسكت لحظة ثم أضاف: هيا بنا نتناول بعض المرطبات، إنني في حاجة إليها. ومَن يدري؟ قد نشرب المرطبات في صحتهم! قال ذلك ثم ابتسم.

نزل الشياطين إلى صالة الفندق، ثم أخذوا طريقهم إلى الكافيتريا، كانت قليلة النزلاء فجلسوا في ركن فيها، وطلبوا بعض المثلجات، وعندما أحضرها الجرسون وقف يتحدَّث إليهم، مع أن هذه ليست عادة العمَّال في الفندق. كان الجرسون ظريفًا حتى إنه أضحكهم كثيرًا.

وعندما ابتعد عنهم قال: إنني في خدمتكم في أي لحظة. ثم أخرج كارتًا عليه عنوانه ورقم تليفونه! هذه حركة لفتت نظر الشياطين.

غير أن «بو عمير» قال: إنني أعتقد أنها مسألة عادية؛ فهو يعرض خدماته ومصاحبته لنا في جولتنا، لكن ذلك لن يكون بلا أجر، إنه في النهاية سوف يتقاضى أجره منا.

لكن ذلك لم يغِب عن «أحمد»؛ فقد أخذ يتابعه في حركته. كان الرجل كثير الوقوف عند الزبائن يتحدَّث إليهم، ويرسل نكاته، فترتفع الضحكات. حتى إنه قال: يبدو أن هذه طبيعة فيه، فهو يتحدث مع كل الموجودين.

مرَّت نصف ساعة، واختفى الجرسون فترة، ثم ظهر وقد أبدل ملابسه، واقترب منهم يحييهم، وقال: أرجو ألا تكونوا قد نسيتم «بوش» ... إنه أنا.

ابتسم الشياطين، بينما غرق هو في الضحك، وقال: لقد أنهيت عملي، هل أدعوكم لقضاء السهرة في مكان هادئ عند سفح الجبل؟ إنه حقًّا مكان ممتع، ولا يجب أن تفوتكم زيارته قبل رحيلكم. إنه جزء من عمل خاص أديره أنا وبعض الزملاء. ونحن ندعو إليه مَن نتوسَّم فيهم حب الأماكن الشاعرية.

وصمت لحظة، ثم أضاف: ما رأيكم؟ ثم هزَّ رأسه مبتسمًا، ثم قال: أعتقد أنكم موافقون. ونظر في ساعة يده، ثم قال في تأكيد: إنكم سوف ترون أجمل منظر في «سويسرا»، إن الشمس سوف تغرب بعد نصف ساعة، وهي تغرب خلف الجبل، إنه منظر لا يُنسَى.

كان الشياطين يتابعونه باهتمام. فجأةً اقترب منه زميل له، وهمس في أذنه بكلمات، ثم انصرف. تقلَّصَت عضلة وجهه. لمحَها «أحمد»، لكنه ابتسم بسرعة، ثم قال: إن هناك مَن يدعوني، سوف أتحدَّث إليه وأعود إليكم لأعرف قراركم، ثم تركَهم وانصرف مسرعًا.

نظر الشياطين إلى بعضهم، كانوا جميعًا يفكِّرون في سؤال واحد: هل يقبلون الدعوة؟

قال «قيس»: إنني موافق.

بو عمير: أعتقد أننا لن نندم.

مصباح: إنني أشك فيه.

وقف «أحمد» وهو يقول: إننا لن نخسر كثيرًا. فجأة ظهر «بوش» وهو يقول: أعتقد أنكم قبلتم دعوتي.

وفي خطوات متمهِّلة تحرَّك الشياطين خلف «بوش» الذي كان يتقدمهم بخطوة. لكن كلماته تردَّدت في خاطر «أحمد»: هل يكون «بوش» واحدًا منهم؟ وهل هو السبيل لبداية الصدام؟

وفجأةً بدأ انهيار الجبل!

أمام الفندق قال «بوش»: هيا إلى سيارتي، إنها تكفينا جميعًا.

ابتسم «أحمد» وقال: ولماذا لا نأخذ سيارتنا؟ إنها يمكن أن تفيدنا في العودة.

قال «بوش»: سوف أعيدكم إلى الفندق.

ظلَّ الحوار بينهم حتى انتهوا إلى رأي أن يصحب «بوش» في سيارته «مصباح» و«قيس»، ويتابعهم «أحمد» و«بو عمير» في سيارة الشياطين، وهكذا انطلقت السيارتان.

كانت حركة الشوارع مزدحمة لعودة الناس إلى بيوتهم آخِر النهار. غير أن ذلك لم يعطِّل حركة المرور، ولذلك فقد خرجوا من المدينة بسرعة، وأخذوا طريقهم إلى الجبل. كان الطريق تحفُّه الخضرة البديعة، وكان المساء قد بدأ، والشمس تأخذ طريقها إلى الغروب، كانت تبدو أمامهم وهي تقف فوق قمة الجبل، فتُحيل لونه إلى لون أحمر وكأنه النار. حتى إن «بو عمير» ابتسم وهو يقول لـ «أحمد»: إنه مثل لون النار التي نحن ذاهبون إليها.

ابتسم «أحمد» وهو يرد: بل لون النار التي سوف يرونها إذا كانوا فعلًا كما نتوقَّع.

استمرَّ الطريق في اتجاه الجبل الذي كان يقترب. فجأة توقفت سيارة «بوش»، غير أن «أحمد» لم يتوقَّف، فقد استمر حتى حاذى السيارة، ثم توقَّف بجوارها.

قال «بوش» مبتسمًا: لقد توقَّفتُ حتى ألفت نظرك إلى لحظة غروب الشمس، ألا ترى أنها تستحق أن تُشاهَد فعلًا؟

ابتسم «أحمد» وقال: بالتأكيد، وأنت محقٌّ في دعوتنا لمشاهدتها.

قال «بوش»: الليل أيضًا شديد الجمال في الجبل، فهناك عدة مساكن بجوار بعض هي أماكن للسهر، إن كثيرين يحبون هذه الأماكن.

قال «أحمد»: الإنسان دائمًا في حاجة إلى مثل هذه الأماكن الجبلية؛ فهي تجدِّد نشاطه.

ابتسم «بوش» وقال: أنت تفكِّر كما أفكِّر تمامًا. دعنا نتقدَّم.

انطلق «بوش» بسيارته، فتبعه «أحمد». كانت الشمس قد بدأت نزولها خلف الجبل. ظل قرصها الضخم معلَّقًا فترة وكأنها تودِّع الوجود حتى تعود إليه، وغرق الجبل كله في لون أحمر غريب جعل «بو عمير» يقول: إنه فعلًا منظر لا يُنسَى!

بدأت السيارتان تدخلان في بطن الجبل. وكانت الشمس قد اختفت خلفه، وتركت ذيولها الحمراء التي بدأت تخفُّ، ثم تحوَّلَت إلى البرتقالي والأصفر. كانت ظلمة الليل قد بدأت عند أسفل الجبل، فبدا رهيبًا بلونه الأسود. التوى الطريق الذي كانت إضاءته خافتة وكانت تظهر على جانبَيه. ظلَّ الطريق يلتوي كالثعبان وهو يدخل بطن الجبل. ثم فجأة انحرفت سيارة «بوش» إلى طريق جانبي، واختفت الإضاءة الجانبية.

قال «بو عمير»: يبدو أننا ذاهبون إلى لغز.

ابتسم «أحمد» وقال: إنه لغز فعلًا، لكننا سوف نكشفه بعد قليل.

كانت مصابيح سيارة الشياطين تكشف خلفية سيارة «بوش»، فقرأ «أحمد» رقمها، كان الرقم ٨٧٦٤٣٠. أطفأ «أحمد» ضوء المصابيح لحظةً وهو يسأل «بو عمير»: هل تعرف رقم سيارة «بوش»؟

ابتسم «بو عمير» وذكر الرقم، فابتسم «أحمد»، ثم أضاء مصابيح السيارة. ظلَّت السيارتان في تقدُّمهما حتى مسافة كبيرة. مرة أخرى توقَّفَت سيارة «بوش» فاقترب «أحمد» منها.

قال «بوش»: ألا تظن أننا فقدنا الطريق؟ إننا الآن نمُرُّ في نفق «جوثار»، وهو واحد من اثنين. الآخَر اسمه نفق «سمبلون». وهذا الجزء جديد في النفق، ولهذا فإن المرور فيه قليل، ولعلك لاحظت ذلك، فقد قابلتنا سيارات كثيرة قبل هذه المنطقة.

ابتسم «أحمد» وقال: إنه عمل عظيم أن تشقُّوا الجبل هكذا.

قال «بوش»: إن الجبل يمُرُّ فوقنا الآن، ويستمر النفق حتى الجانب الآخَر منه، هيا.

تقدَّمَ «بوش»، فانطلق «أحمد» خلفه. بعد قليل انحرف «بوش»، فانحرف «أحمد» خلفه. أسرعت السيارة الأمامية، فأسرع «أحمد» خلفها. انحرف الطريق عن الطريق الرئيسي، وأصبح ضيِّقًا. وبعد قليل أخذت سيارة «بوش» تبطئ من سرعتها، ثم بدأت تسير ببطء شديد، وأخيرًا توقَّفَت، ثم نزل «بوش» واتجه إلى سيارة الشياطين حتى وقف أمامها، وكانت قد توقَّفَت هي الأخرى.

قال «بوش» مخاطبًا «أحمد»: سوف نقطع هذه المسافة ببطء؛ فسرعة السيارات هنا تثير بعض الانهيارات الترابية والصخرية، وكذلك أصوات أبواق السيارات، فاحذر أن

تضغط «كلاكس» السيارة في هذه المنطقة. وهي ليست طويلة، فقد اقتربنا. ثم عاد إلى سيارته، وفي بطء تحرَّكَت السيارتان.

مرَّت ربع ساعة، ثم أطفأ «بوش» أضواء سيارته، وأضاءها ثلاث مرات، لفت ذلك نظر «أحمد» و«بو عمير».

فقال «أحمد»: أعتقد أنها إشارة مُتَّفَق عليها.

استمرت السيارتان، وفجأةً أطفأ «بوش» سيارته مرَّتَين، ثم استمر في طريقه. وأخيرًا أطفأها مرة واحدة، ثم أضاء ضوءًا قويًّا، فظهرت فتحة في الجبل. لحظة ثم ظهر أحد الرجال يلبس ملابس رعاة البقر التي تظهر في أفلام المغامرات، وبرغم الليل فقد كانت القبعة فوق رأسه. وبعد قليل ظهر رجال آخَرون.

كانت السيارتان قد اقتربتا تمامًا، وبدأت ملامح الرجل تظهر.

اتسعت عينا «بو عمير» دهشة، وقال: هذا أحدهم!

همس «أحمد»: أحد مَن؟

قال «بو عمير»: هذا الرجل هو الذي رأيتُه في الشرفة اليوم.

قال «أحمد»: إنها إذَن اللحظة التي كنا ننتظرها.

بسرعة أرسل رسالة إلى الشياطين، قال في الرسالة: استعدوا، وخذوا حذركم.

كان الرجال قد اقتربوا من سيارة «بوش»، وكان «أحمد» قد توقَّف بعيدًا قليلًا بسيارة الشياطين حتى يُعطي نفسه فرصة الحركة. التفَّ الرجال حول السيارة، فانتظر «أحمد» قليلًا. كان قد فكَّر واستعدَّ، ضغط زرًّا في تابلوه السيارة فجاءت كلمات الرجال هناك.

كان أحدهم يقول: أهلًا بالسيد «بوش»، أهلًا بضيوفك.

تلقَّى «أحمد» رسالة من «مصباح» تقول: إنهم رجال الفندق الذين كانوا عندنا.

فهم «أحمد» الرسالة، فهمس لـ «بو عمير»: إنهم فعلًا الرجال.

ورأى «أحمد» تحت ضوء سيارة الشياطين «مصباح» و«قيس» وهما ينزلان من السيارة، ورأى بوضوح علامات السخرية التي كانت تغطِّي ملامح الرجال.

همس «أحمد» لـ «بو عمير»: خذ حذرك.

فجأةً ضغط «كلاكس» السيارة في قوة، فتردَّد الصوت في أرجاء الجبل، وظلَّ مستمرًّا في الضغط. كان الرجال قد اندفعوا في اتجاهه، في نفس اللحظة التي سمع فيها صوت الانهيارات الجبلية، ورأى تحت تأثير ضوء السيارة سحابة ترابية قد أخذت تنتشر في المكان.

أطفأ ضوء السيارة، لكن ضوء سيارة «بوش» كان لا يزال يضيء المكان، فرأى «مصباح» و«قيس» وقد اشتبكا مع اثنين من الرجال. أخرج مسدسه وأحكم التصويب، ثم ضغط الزناد، فانطلقت رصاصة أصابت تابلوه سيارة «بوش» بعد أن اخترقت الزجاج الخلفي للسيارة، فغرق المكان في الظلام. حدث ذلك كله في دقيقة، استطاع الرجال خلالها أن يصلوا إلى سيارة الشياطين.

إلا أن «بو عمير» كان مستعدًّا، فقد فتح الباب وانتظر وصول أول رجل، فدفع الباب في قوةٍ طرحت الرجل أرضًا، فاندفع هو الآخَر طائرًا في الهواء، وضرب رجلًا آخَر ضربة قوية جعلت الرجل يصرخ، في نفس الوقت كان «أحمد» قد قفز في خفة بعيدًا عن مسار طلقة أطلقها أحدهم، وعاجله بضربة جعلت الرجل يتهاوى.

كان «قيس» قد أمسك بذراع «بوش» وطوَّح به في الهواء، إلا أن «بوش» كان من الرشاقة بحيث دار مع «قيس»، ثم ضربَه ضربة مفاجئة جعلت «قيس» يتهاوى، غير أن «مصباح» كان قد قضى على رجلين فاستدار في سرعة وضرب «بوش» ذراعًا مستقيمة جعلَتْه يترنَّح. كان «قيس» قد استعاد توازنه، فتلقى «بوش» بين ذراعَيه، ثم أداره في مواجهته وسدَّد إليه يمينًا خطافية جعلته يتراجع، ثم يصطدم بالجبل.

فجأةً صمتَ كل شيء، ولم تكن تُسمَع حتى أنفاس الموجودين. مرَّت دقائق حذرة، كان الشياطين يتحدثون من خلال الأجهزة الدقيقة التي يحملونها، فيعرف كلٌّ منهم مكان الآخَر.

قال «أحمد»: فلنزحف إلى سيارة «بوش».

وفي هدوء وبلا صوت تقدم الشياطين في اتجاه سيارة «بوش» حتى التقوا عندها. تحسَّس «أحمد» الأرض فوجد عدة أحجار. أمسك بحجر متوسِّط الحجم ثم طوَّح به بعيدًا فأصدر صوتًا. وفي لحظة كانت طلقات الرصاص تنهال على المكان الذي سقط فيه الحجر، في نفس الوقت الذي غيَّر فيه الشياطين مكانهم بسرعة، حتى لا يكتشف أحدهم مصدر الحجر. وكان قد عرف أماكن رجال العصابة تحت تأثير ضوء طلقات الرصاص. لم تكن الانهيارات الصخرية كبيرة، فقد سقط حجر أو اثنان في منطقة بعيدة، وإن كانت كمية من الأتربة التي سقطت قد أكدت أنه يمكن الاستفادة من الموقف مرة أخرى.

مرَّت لحظة كان «أحمد» يفكِّر خلالها كيف يمكن أن يستفيد من الموقف الآن؟ فهو لا يريد استخدام الرصاص حتى لا يكشف مكانهم.

وفي نفس الوقت كان يريد أن يلفت نظر أفراد العصابة إلى شيء آخَر، حتى يستطيع الشياطين أن يتقدَّموا داخل مقر العصابة. كان الصمت لا يزال يحيط كلَّ شيء، وبدا الموقف

رهيبًا مُنذِرًا بصدام قوي، فتحدَّث إلى الشياطين بطريقة اللمس، وقال لهم خطة وافق الشياطين عليها. لحظة ثم أخرج من جيبه جهازًا دقيقًا، ثم وجَّهَه إلى سيارة الشياطين.

ضغط ضغطة هيِّنة على زرٍّ في الجهاز، فانطلقت أشعة غير مرئية ودارت السيارة. وكان مجرَّد ارتفاع صوت الموتور كافيًا ليلفت نظر أفراد العصابة، فانطلقت كمية هائلة من الطلقات في اتجاهها؛ فقد كانوا يظنون أن الشياطين بداخلها. في نفس اللحظة كان الشياطين قد زحفوا في اتجاه باب المقر المنحوت في الجبل، وعندما وصلوا كانت المفاجأة، لقد كان الباب مغلقًا.

كان الباب عبارة عن بوابة حديدية ضخمة، حاول الشياطين أن يفتحوها لكنهم لم يستطيعوا، في نفس اللحظة التي كانت سيارتهم قد اشتعلت بتأثير طلقات الرصاص التي أصابت خزَّان الوقود. وبدأ المكان يظهر أكثر فأكثر تحت تأثير النيران.

فجأة صرخ أحدهم: إن السيارة سوف تنفجر، وسوف تقع الانهيارات الصخرية! كان الشياطين قد التصقوا في جانب البوابة، حيث كانت مساحة صغيرة تفصل بين البوابة وصخور الجبل. رأى الشياطين أفراد العصابة وهم يجرون في اتجاه السيارة المشتعلة بعد أن أحضر أحدهم مطفأة حريق من سيارة «بوش». وما إن وصلوا إلى سيارة الشياطين حتى دوت فرقعة هائلة تردَّد صداها في الجبل، وسمع الشياطين صوت الانهيارات التي كانت تبدو ضخمة هذه المرة.

ضغطة واحدة وتظهر السكين!

لقد انفجرَت سيارة الشياطين، ولم يكن أحد يستطيع صدَّ الانهيارات التي بدأت مقدمتها تصل إليهم في شكل كُتَل صخرية صغيرة لكنها كثيرة. في نفس الوقت كانت سحابة كثيفة من التراب قد أخذَت تغطِّي المنطقة كلها، حتى إن سعال الرجال قد بدأ يتصاعد، وبدا أن إمكانية التنفس صعبة. أخرج الشياطين كمامات صغيرة، ووضعوها على أنوفهم حتى يتحاشوا تأثير الأتربة، كانت السيارة تضيء المكان، لكن المادة التي استُخدِمَت في الإطفاء جعلت النار تهدأ بسرعة.

كانت هذه فرصة ليتصرف الشياطين. أسرع «قيس» وأخرج مسدسه، ثم ثبت جهازًا صغيرًا، وضغط الزناد، خرج شعاع ضوئي من فوهة المسدس في اتجاه قفل الباب. لكن فجأة أضيء عدد من الكشافات القوية، غير أن تأثيره لم يكن قويًّا، فقد كانت سحابة الأتربة كثيفة بما يكفي لأن تحجب أي ضوء مهما كان قويًّا. لم يستطع قفل الباب أن يصمد طويلًا أمام الشعاع الضوئي فانفتح. وفي لحظة كان الشياطين يقفزون إلى داخل مقر العصابة.

كانت إضاءة خافتة تغطِّي المدخل الذي بدا وكأنه أحد كهوف ما قبل التاريخ، كان رطبًا وملتويًا.

أسرع الشياطين يتقدَّمون حتى لا يكونوا محاصِرين، ففي المدخل لا يوجد أي مكان يمكن اللجوء إليه. ولو حدث أي هجوم فإنهم يكونون مكشوفين تمامًا. فجأةً ظهر بعض الرجال بعد أن قطع الشياطين عدة أمتار إلى الداخل. أسرع «بو عمير» وقذف قنبلة دخان في اتجاه أفراد العصابة. انتشر دخان القنبلة بسرعة فغطَّى تقدُّم الشياطين. في نفس الوقت سمع الشياطين سعال الرجال، وكانت هذه فرصتهم فهم يلبسون الكمامات التي تقيهم أيَّ خطر.

كان الرجال يترنَّحون بتأثير الدخان، وبعضهم يستند إلى حائط المدخل. تقدم الشياطين أكثر، وفي هدوء كانوا يلقِّنونهم علقةً ساخنة انهاروا بعدها مباشرة. لقد كان تأثير الدخان قويًّا، حتى إن رجال العصابة لم تكن لهم مقاومة تُذكَر. ظهر بابٌ على يمين الطريق المتعرِّج، دفعه «أحمد» دفعة قوية غير أنه لم ينفتح، أسرع «قيس» باستخدام الشعاع الضوئي فانهار الباب، وظهر أمام الشياطين ما جعلهم ينظرون في دهشة.

كانت هناك حجرة مُجهَّزة بآلات حديثة وكأنها في معمل عظيم. وقف «بو عمير» بجوار الباب لحراسته. في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يحاول فك رموز الآلات. لاحظ «قيس» عدسة مُوجَّهة في يمين حائط الحجرة، عرف أنها تنقل ما يدور إلى مكانٍ ما يقوم بالمراقبة.

في هدوءٍ تقدَّم وأخرج منديلًا من جيبه، ثم وضعه فوقها، لكن صوتًا تردَّد في الحجرة جعل الشياطين يتوقفون.

قال الصوت ضاحكًا: لا داعي لكل هذا. ينبغي أن تهدءوا قليلًا، فأنتم الآن لا تستطيعون الحركة.

نظر الشياطين إلى بعضهم، وقال «أحمد» بلغة الشياطين: يجب أن نتصرف، إننا يمكن أن نفقد كل شيء.

أسرعوا إلى الباب، لكن فجأة سمعوا صوت كلاب تنبح، توقَّفوا وفكَّروا. إنها إذَن معركة كلاب. بسرعة جهَّزوا الإبر المخدرة، إنها السبيل الوحيد إلى القضاء على الكلاب مؤقتًا حتى يتفرغوا لملاقاة رجال العصابة. اقترب صوت الكلاب حتى ظهرت.

كانت ضخمة الحجم، يبدو عليها الشراسة. وضع الشياطين أيديهم في جيوبهم استعدادًا، لكن عدد الكلاب كان غريبًا، كان هناك أكثر من عشرين كلبًا، كانت تندفع في قوة وهي تتشمَّم الأرض، ثم تتشمَّم الهواء. كانت قد اقتربت وأصبحت على مدى إطلاق الإبر المخدرة. لكن كيف يمكن القضاء على هذا العدد كله في لحظة؟

قال «مصباح»: إن الإبر لن تقضي عليها جميعًا.

قال «بو عمير»: إن هناك حركة واحدة تنهي المسألة. قال ذلك ثم أخرج قنبلة دخانية وهمس: أحدكم يلقي قنبلة أخرى.

نزع «بو عمير» فتيل القنبلة في الوقت الذي جهَّز فيه «قيس» قنبلة أخرى. وفي لحظة واحدة كانت القنبلتان تأخذان طريقهما إلى الكلاب. وعندما انفجرتا غرق المكان في دخان أبيض، وأخذت الكلاب تنبح وهي تفر هاربة. أسرع الشياطين خلفها.

كان المهم هو الوصول إلى الرأس الكبير، أو العثور على خبير العقل الإلكتروني.

تجاوز الشياطين منطقة الدخان. كان عددٌ من الكلاب قد رقد على الأرض بلا حراك. وفي الوقت الذي اختفى فيه آخَرون.

فجأةً فُتحت عدة أبواب مرة واحدة، وظهر عدد من العمالقة كانوا أمام الشياطين، حتى لم يكن أمامهم إلا الاشتباك معهم. أمسك أحد العمالقة بيد «مصباح» ثم جذبَه بقوة، فاندفع داخلًا الحجرة. في نفس الوقت الذي اشتبك فيه الشياطين مع خمسة منهم. ضرب «أحمد» أحدهم فتراجع العملاق في قوة، إلا أن «أحمد» كان يتابعه بضربات قوية جعلته يندفع حتى يصطدم بالحائط. في نفس اللحظة رأى عملاقًا يرفع خنجرًا ويهوي به على «قيس». طار في الهواء وضرب العملاق ضربةً جعلَتْه يهتز، فتمكَّن «قيس» من ضربه ... ضربة جعلَتْه ينحني إلى الأمام، ثم يسقط على الأرض بلا حراك.

في حين كان «بو عمير» مشتبكًا مع عملاق آخَر، ربما أكثرهم ضخامة. وكان العملاق قد أمسك «بو عمير» من عنقه، يضغط عليه حتى كاد يفقد قدرته على التنفُّس، لكن «بو عمير» استجمع قواه وضرب العملاق ضربة فوق ذراعَيه بكلتا يدَيه، فتراخت قواه، وكانت اللحظة كافية ليضربه الضربة الأخيرة.

إلا أن «مصباح» كان قد ظهر على باب الحجرة، فسدَّد ضربة قوية للعملاق جعلَتْه يندفع في اتجاه «بو عمير» بقوة، إلا أن «بو عمير» قفز من أمامه، فاستمر اندفاعه حتى اصطدم بالحائط. كانت المعركة توشك أن تنتهي.

نظر «أحمد» حوالَيه، ثم اندفع بسرعة، كان هناك باب صغير فاتجه إليه، كان الباب مغلقًا فعالجه بحكمة حتى انفتح. كان الباب يؤدِّي إلى صالة متوسطة في يمينها باب آخَر، ما كاد يضع يده على أكرة الباب حتى سرى تيار عنيف في جسده جعله يطير في الهواء، لكن لحسن الحظ فإن اندفاعه لم يكن قويًّا، سقط على الأرض، وبسرعة أخرج من جيبه قطعتَين من مادة معيَّنة لاصقة فألصق كل واحدة في نعل حذائه، ثم أسرع إلى الباب وفتحه، فلم يتأثر بالتيار الكهربي. كان يجلس أمامه مباشرة رجل ضئيل الحجم، غزير الشعر. ما إن سمع صوت الباب يفتح حتى استدار. لمعت عينا «أحمد»، لقد كان هو نفسه خبير العقول الإلكترونية كما وصفه رقم «صفر»، وقف الرجل ينظر إلى «أحمد» في ذهول.

قال «أحمد» مبتسمًا وفي هدوء: السيد الخبير؟

لم ينطق الرجل.

قال «أحمد»: هل تؤدي لنا خدمة؟

قال الرجل متلعثمًا: أ... أ... أ... أنا؟

قال «أحمد»: نعم، أنت، أنت. لدينا عقلٌ نريد إصلاحه.

قال الرجل وهو يتهته: عـ... عـ... عقـ... عقلٌ. نـ... نـ... نعم. أ... أ... أ... أين؟

تأكَّدَ «أحمد» أنه الرجل، فسأله: هل يمكننا التعرف عليك؟

أجاب الرجل: مَـ... مَـ... مَن؟ مـ... مَن أ... أ... أنت؟

في لحظة كان «أحمد» قد قفز إليه، وأمسك بذراعه ولواها في قوة، فصرخ الرجل.

سأله «أحمد»: مَن أنت؟

قال الرجل بنفس التهتهة: إ... إ... إنني، أ... أ... أُدعى جـ... جيرار.

كان «أحمد» قد شمل الحجرة كلها بنظرة سريعة، فقد كانت الحجرة مملوءة بالأجهزة المعقدة، وضغط ذراع الرجل فتأوَّه متألِّمًا.

أخرج «أحمد» مسدسه، ثم قال: أغلق الحجرة.

نظر الرجل في اتجاهه لحظةً، ثم مدَّ يده وضغط زرًّا فانغلق الباب.

قال «أحمد»: اكشف المقر.

بعد لحظة قال الرجل: دـ... دـ... دع نـ... نـ... ذر... ذراعي لأعـ... لأستطيع أن أعمل.

ترك «أحمد» ذراعه، تأوَّه الرجل لحظةً وهو يفرد ذراعه، ثم فاجأ «أحمد» بضربة قوية جعلته يتلوَّى ويئِنُّ، إلا أنه وبسرعةٍ وقبل أن يستطيع الرجل أيَّ حركة كان «أحمد» قد ضربه ضربة قوية، فسقط الرجل على الأرض، وبسرعة أيضًا رفعه «أحمد» بين ذراعَيه، وقال: اكشف المقر وإلا قضيتُ عليك.

وضعَه فوق مقعده. ورغم أن الألم كان شديدًا إلا أنه مرَّ بأصابعه على عدة أزرار، فأُضيئَت الشاشات المثبَّتة أمامه، ثم ظهرت كل تفاصيل المقر. رأى «أحمد» مجموعة الشياطين مشتبكة مع عدد من الرجال، فعرف أن هذه معركة أخرى. فجأةً كانت سكينٌ طويلة قد مرَّت بجوار جسمه مباشرة حتى إنها قطعت طرف قميصه.

كان «جيرار» قد ضغط زرًّا صغيرًا بجواره، فاندفعت السكين من أحد الأجهزة الموجودة، وعرف «أحمد» أنه يمكن أن ينتهي دون أن يدري، ولذلك فقد جذب «جيرار» بسرعة وأبعده عن الأجهزة. وفي لحظة كان قد أوثقه حتى لا يستطيع استخدام يدَيه، وبدأ يُلقي إليه التعليمات، ويقوم هو بالتنفيذ.

قال له: أريد أن أتحدَّث إلى الزعيم.

لم ينطق «جيرار»، ظل لحظة ينظر إلى «أحمد» ثم قال: هـ... هـ... هذا الزر.

كان الزر بعيدًا، حتى إنه لا بد أن ينحني «أحمد» إلى الأمام حتى يستطيع الضغط عليه. لكن في لحظة سريعة فكَّر «أحمد»: قد تكون خدعة، جذب «جيرار» وأوقفه أمامه ووقف خلفه، ثم انحنى ليضغط الزر.

صاح «جيرار»: لا، لا!

فهم «أحمد» أنها خدعة فعلًا، فلكزه بطرف مسدسه، فأشار إلى زرٍّ آخَر، دفعه أمامه، ثم ضغط الزر، فظهر الزعيم، كان رجلًا قميئًا، تبدو عليه علامات المرض. ولم يكن ضخمًا، كان متوسط الحجم، لكنَّ عينَيه تلمعان في حِدَّة.

قال يتحدَّث إليه: أيها الزعيم، لقد انتهى كل شيء.

تحدَّث الزعيم: مَن أنت؟ كان الصوت رفيعًا وكأنه يأتي من مكان مجهول.

قال «أحمد» في هدوء: إنني مندوب بنك إسبانيا.

لمعت عينا «جيرار».

فقال «أحمد»: إنها سرقة ذكية، أليس كذلك؟

شحب وجه «جيرار»، بينما استمرَّ «أحمد» في كلامه إلى الزعيم: إن صفقة الماس لن تتم، وينبغي تسليم كل شيء.

فجأة تشمم «أحمد» رائحة غريبة، نظر إلى «جيرار» الذي لم يكن قد تحرك من مكانه وقال له: ما هذه الرائحة؟

نظر «جيرار» إلى مكان في الحجرة، ثم قال: هـ... هـ... هذا الزر.

فضغطه «أحمد» بسرعة، ثم انتظر. أخذت الرائحة تخف. وعندما سأل «جيرار»، عرف أن هذه إحدى الطرق التي يلجأ إليها الزعيم إذا حدثت مشكلة.

تحدث «أحمد» إلى الشياطين الذين كانوا قد انتهوا من معركتهم: أيها الأصدقاء لقد انتهى كل شيء، الاتجاه ش، ق.

رآهم على شاشات التليفزيون المثبَّتَة أمامه وهم يأخذون طريقهم إليه، كانت هذه هي حجرة التحكُّم في المقر كله، ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئًا إلا من داخلها، ولذلك فقد أحكم إغلاق كلَّ منافذ المقر. وفي لحظةٍ أرسل رسالة إلى رقم «صفر» الذي رد مباشرة: إنهم في الطريق إليكم.

دخل الشياطين الحجرة، وفي لحظات كانت الشاشات تنقل صور رجال الشرطة السويسريين وهم يقتربون بسياراتهم من باب المقر. فتح لهم البوابة الضخمة، ثم ساق «جيرار» أمامه في نفس الوقت الذي وصل فيه رجال الشرطة.

نظر الشياطين إلى بعضهم، فرفع «قيس» إصبعَيه يرسم علامة النصر، ثم أخذوا طريقهم إلى الخارج. بينما كان رجال الشرطة يقومون بعملهم.

أرسل «أحمد» رسالة إلى رقم «صفر»: انتهى كل شيء. الملايين عادت أيضًا.

وكان الرد: الاجتماع غدًا في العاشرة، هناك عمل سريع جديد.

نقل «أحمد» الرسالة إلى الشياطين، فضحكوا جميعًا؛ فقد عرفوا أنهم سوف يبدءون إجازة جديدة.

هنـــداوي